الطائر الخفّاق على اطلال العراق

لحضرة الاب البارع انستاس الكرملي البغدادي

١ عقرقوف القديمة (لاحق بسابق راجع المشرق ٣ : ٨٦٥)

قال اوليفيار: «وعلى الباحث الاثريّ ان يرجّح انّ هذا البناء مصمت بما انّ المأكول منهُ من الجهتين الجنوبيّة والغربيّة يكاد يبلغ حشاهُ ومع ذلك فانهُ لم يُرَ فيهِ تجويف البتّة. ومداميك اللَّبِن وأدماص القَضَض وأضداد القصب موضوعة في الداخل نفس وضعها في الخارج. وترى فيهِ نفس الخُروق المربّعة التي ألمعنا اليها فُوَيق هذا وفي الصفح الشمالي منهُ عند ثلثي سمكهِ فتحة اشبه شيء بباب. ولا جرم انّهـا فُتحت لمّا اراد المنقّبون البحث عن هذا الاثر الجليل. والدليل على ذلك ان حروف هذه الفتحة منحوتة نحتًا مُضرَّسًا وليس فيها لَبِنة صحيحة سالمة. وعلى بُعد ١٠٠ قدم من هذه الفتحة ونحو الجهة الجنوبيّة نَشَزَ سمكهُ بضع قامات يتحقق الناظر اليهِ انّ ثَمَّ جدرانًا متينة مبنية بالآجرّ وقد اعتبرناها بقايا ابنيةٍ سابقة ومن عهد الصرح بحيث انهُ من الممكن ان تكون عقرقوف موضع بلدة قديمـة عاديّةٍ.

«وربَّ سائلٍ يسألني هنا: وما كانت الغاية من هذا الصرح؟ قلتُ: من المؤكّد انهُ لم يكن قصرًا ولا معبدًا لا بل ولا حصنًا. فلو كان يُرى على احدى صفحاتهِ آثار مرقاة يُصعد بها الى قتهِ او يُرى اثر باب هناك لدُفعنا الى الظن بان هـذه المرقاة قد وُضعت في الداخل ولرجّحنا الرأي القائل بان هذا البناء كان مرصادًا يُرصد منهُ قدوم او هجوم العدوّ. ولعمرك ماذا عسى يكون اذن الغرض من بناء قد أُقيم على دَهاس وعلى بُعد ٦ ساعات من الفرات و ٤ ساعات عن دجلة و ٥ ساعات او ٦ عن سور سَمِيرام. ويبلغ سمكهُ ما يُربي على ١٠٠ قدم؟ أليس لكي يكون منظرةً يشرف منها البابليون على دنوّ اعاديهم منهم. أجل ان موقعهُ وارتفاعهُ في الجو صُمْدًا يمكّن الانسان من تسريح طائر ناظرهِ الى بُعد شاسع واطلاع اصحابهِ بعلامات عرفيّة على ما يُرى عن بُعد. غير انهُ اذا عدل الرجل عن هذا الرأي مفكّرًا انهُ من العجب العجـاب ان تُنفق المبالغ الطائلة على تشييد بناء ضخم ايّ ضخامة غايتهُ الاستشراف على العدوّ فما عليهِ بعد ذلك الّا ان يذهب الى المذهب القائل بان البابليين حذوا حذو المصريين في اقامة الصروح

تخليداً لذكر مشاهير ملوكهم ولدفن رفاتهم. فاقاموهُ على هيئة مربَّع عوضاً عن الهَرَمي لقصور هـذا الشكل عن مـاورة الرياح ومقاومة الأمطار لما فيها من المواد الرخوة السريعة الانحلال. وعلى هذا الرأي يُرجَّح ان تلك القارات والقفاف التي تكلَّمنا عنها لم تكن الَّا بقايا هيكل وبيوت سدنتهِ اقاموها حول ذلك البناء كما يُرى مثل هذه الابنية حول الاهرام (١»

امَّا كنَّير (Kinneir) فيعتـبر هذا المكان موقع ستَّاقي (Sittace) المذكورة في كتاب زينوفون وهي لا جرم من الواجب ان تكون واقعةً في تلك الديار. ويُقدَّر ارتفاع عقرقوف ما يبلغ ١٩٠ قدماً وهو يرى رأي كير پورتر (Ker-Porter) انهُ من عصر أخربة بابل لكن بناءهُ أتمّ (٢

امَّا بُكنگام (٣ الذي كان معهُ الأثري بلّينو (Bellino) فذهب الى ان شكلهُ في سابق الزمن كان هرميًّا وقابل لبنهُ وقصبهُ بابن وقصب تنيس على مدالث النيـل (le delta du Nil)

امَّا رفيقهُ بلّينو فقد ذهب الى ان عقرقوف مدفن ليس الَّا. وقد فتَّش فيهِ كير پورتر معلَّلًا الامَل على وقوعهِ على كتابات مسماريَّة فلم يجد شيئًا. وظنَّ ان اغلب ابنية بغداد أقيمت من اخربة عقرقوف (كذا بحرفهِ) كما انَّ الحلَّة وغيرها من المدن والقرى بُنيت هناك من أخربة بابل. ومن رأيه ايضًا انَّ البناء الشاخص اليوم هو من اقدم ابنيـة الاشوريين وربَّما كان برجًا من ابراج بعل كما كان يوجد منهـا في بلاد بابل وفي كلّ مدينة بابليَّة بوجه العموم. وقد سمع بلّينو الترك يسمونهُ: « نمرود تيَّه سي » (كذا)

ومِمَّا جاء من وصف عقرقوف الملاحظات التي ذكرها فرازَر (Fraser) الذي جاء بغداد مرَّتين فقال مستنتجًا: بما انَّ البنـاء البرجي الشكل مبنيّ من اللبن وان النبيثة المنبثَّة عند حضيضهِ هي من قطع لبنهِ فان ذلك الصرح هو عبارة عن نواةٍ تُرع عنها قشرها. فقد وجد فيهِ طبقات متقابلة من القصباء في حالة رخصة اي رخوصة حتى ان جواد المعلم روس وهو احد رفاقهِ اخذ يعلفهُ بمنزلة التبن. ورأى هذه الطبقات عن بُعد

(١ Olivier : *Voyage...T. II, p. 432, 433, édit. in - 4°*

(٢ Macd. - Kinneir : *Memor. of the Persian Empire, London* 1813-1814 ; p. 252 ; *Cfr. aussi* Ainsworth : *Researches in Babylon, Assyr. etc p. 175*

(٣ Buckingham. - *Travels in Mesop. etc. p. 375, 401* اطلب

يُظهر البناء في مظهر مضرّس. والبناء على ما هو اليوم لا شكل لهُ وفي جهتهِ الجنوبية فتحة وعلى نحو منتصف علوهِ غارٌ لا يمكن ان يكون الّا مسكنًا لبنات آوى. وأصغرو رفاق فرازر سنًّا دخلوا غُرَيفة منحوتة في ذلك الغار. لكن التراب وجيشًا عجيبًا من الحفافيش باغتهم على غفلةٍ منهم فصدَّتهم عن رؤية شيء من الاشياء. وقد ذهب روس الى ان هذا الأطم قد أُقيم لمعرفة الجهات. وهذا ما يدعم ايضًا رأي كير پورتر. وفرازر لا يذكر اقيستهُ لكنهُ يذكر مقاديرَ واحد من المهندسين الايطاليين قائلًا انهُ رجد عقرقوف أعلى من برج نمرود من اخربة بابل (١)

وغنك عنان القلم عند هذا الحدّ من ذكر الشواهد بهذا الخصوص فانها لا تُحصى وان كانت نادرة الوجود. وانما انتقينا منها الشواهد القديمة ليقف القارئ على ان الافرنج كانوا ولم يزالوا من المحققين المدققين في كل امر وعصر. وفي كل آن ومكان. حتى انهُ لولا تفاصيلهم لما حصلنا على شيء من الفوائد والمعلومات عن هذا البناء الجليل لانهُ على شفا الزوال والاضمحلال. ولان العرب في ايام فتوحاتهم لهذه البلاد لم يذكروا شيئًا او ذكروا ما يكاد يكون كالعدم مع انهُ من الابنية التي تستوقف دغمًا عن اغضاء عيني الجاهل في هذه الديار

٢ عقرقوف الحالية (القسم الثاني)

اذا سألتني ما معنى عقرقوف؟ اجبتك على الفور: لا أعلم شيئًا. نعم ان العرب افاضوا في تفسير هذا اللفظ الغريب وتكلّفوا لهُ معاني مختلفة غير انها كلّها لا تتعدّى طور أضغاث الاحلام. ولهذا نسكت عن ذكرها صونًا لشرف مؤرّخيها. امّا الافرنج فلم يبدوا بعد رأيًا بهذا الصدد لان الحرف ليس بعربي بل اشوريّ او كلداني وهو معروف قبل فتوح هذه البلدان على ايدي العرب. امّا آخر مَن وصف في ايّامنا هذا الصرح القديم فهو واحد من علماء الآثار الاميركيين في كتاب هذا عنوانهُ: Peters: *Nippûr, or Explorations and Adventures on the Euphrates. - First campaign, p.* 188,189 ولهذا فاننا نلخّص عن هذا الكتاب ما لم يأتِ بذكرهِ

(١ Baillie Fraser: *Travels in Koordistan, Mesopot., etc. London 1840 in 4° vol. II, p. 163*

الافرنج الاسبقون ونعقّب كلام المؤلف بشيء مما حقّقناهُ بنفسنا لكي لا يفوت القارئ فائدةٌ :

« انَّ هذا التلَّ قائم على نشز وحولهُ كسرٌ من الآجرّ والفخّار من جميع الاشكال مع قطع من الزجاج وعلى رأي هِلپرخت Hilprecht ان سمك هذا البرج ٩٦ قدماً (١ . امّا زواياهُ فتكاد تكون متجهة نحو الخوافق وليس فيهِ من الطاباق (٢ شيء . وانما هو مبنيّ من اللبن طول الواحدة منهُ وعرضها ٣٨ سنتيمترًا ونصف سنتيمتر (٣ واللبن كلهُ مستوٍ وليس محددًا من احدى الجهات كما في نُفَّر (٤ . ويُرى في الجهتين الجنوبية والجنوبية الشرقية من التلّ غاران صغيران وعند الجنوب والشرق والغرب يرى السائح آكاماً مختلفة القدر (٥ . وعند الجنوب « التراجف » ووراءها « خرْنابات » وفي الشرق « تلّ الذهب » . وفي الجهة الغربيّة والشمالية الغربيّة والشمالية آجام ومستنقعات عظيمة يُطلق عليها اسم « هور الحُصَيّ » (٦ واذا استشرق الناظر الاقطار المجاورة يرى تلالًا عديدة في جهات مختلفة وتُرعًا كثيرة تخذُ خذًا وجهَ الارض ومرجعها الى قريب من عقرقوف . وكانت تُرى بغداد (٧ شيئًا قليلًا

---

١) كذا . والذي حقّقناهُ ١٠٢ وان نقصت فتُقل ٣٤ مترًا

٢) هذا اسم الآجرّ عندنا وهو عربي من اصل اعجمي كالآجرّ

٣) كذا في الاصل المطبوع وقد قِسنا كثيرًا منها فوجدناها غير مفرغة في قالب واحد فمنها ما ألفينا تربيعها ٣٩ سنتيمترًا لا ٣٩ والبعض كان تربيعها ٣٠ سنتيمترًا ووُجدت طائفة منها قد نقصت عن ٣٩ لكن لم نرَ منها ابدًا ما أربى على ٣٠

٤) ولا تقل هذه الكلمة بصورة اخرى وهي بالافرنجية (Nippur)

٥) قلتُ : واسم التلّ الذي في غربي عقرقوف « التلّ الابيض » وبجانبهِ تلول اخرى اسمها « التُلول السُمر »

٦) قلتُ : وفي الاصل المطبوع : Khor-el-Hosai وهي كتابة واضحة الخطإ لان العراقيين يميزون بين الهَور والحَور كما يميزها اللغويون . فالهَور هو ارض واطئة يندفع اليها مياه فياض وآجام واصبار فتتّسع vaste terrain bas sujet aux inondations واما الحَور والبعض منّا يقول الغَور فهو على ضدّين فعرب خليج فارس يريدون بهِ الضَحضح او الضحضاح واما عرب العراق فيريدون بهِ المنخفض من الارض . واما قولهُ : « يُطلق عليها اسم هَور الحُصَيّ » ففيهِ نظر لان هناك هَورَين كلّ واحد منهما منفصل عن اخيهِ انفصالاً بيّنًا واسم الثاني : « هور الدَّادَه »

٧) في يوم رحلة هلپرخت

في الجهة الجنوبيَّة الشرقيَّة. واماَّ قُبب مَشهد الامام موسى الكاظم ومناورهُ فكانت تبين في الجهة الشمالية الشرقيَّة

« وبدون حفر وتنقيب لا يكاد يمكن ان يقال قولٌ شافٍ وافٍ ما كانت عقرقوف والى اي عصر ترجع. فقد وُجد ثمَّ آجرٌ مكتوب عليهِ اسم كوريكالزو Kurigalzu ويُظنّ انهُ كوريكالزو الثاني من دولة كوساكون Cossacon الذي ملك في بلاد بابل من سنة ١٣٠٦ الى ١٢٨٤ ق.م. وقد اختطَّ الموضع رجلٌ اسمهُ دُور كوريكالزو Dur-Kurigalzu. وقد شاع شيوعاً بين عدد عديدٍ من العلماء ان تلك الأخربة هي بقايا زِقُورةٍ قديمة (١ لكن لم يتبيَّن لي ذلك كذلك في الرحلتين او الثلاث التي فحصتُ فيها عقرقوف بل أميل الى القول بانهُ بقايا برج قديم او حصن حصين كان يُقصد منهُ حراسة وسط الترعة العظيمة. وفي عهد الخلفاء العباسيين ذُكر هذا التلّ باسم عقابة (٢ كأنهُ علَم مهمّ واقع على الترعة بين الانبار وبغداد

« وفي موطن من مواطن تلك النواحي او في الجوار نحو الجنوب كانت تقوم سابقاً في عهد يوليان المارق مدينة مَدگمالاثا Madgamalacha التي كانت تصدُّهُ عن تقدُّمهِ الى قطيسفون بعد اخذهِ الانبار. وبعد ان قاومتهُ مقاومة الآنس القنوط تغلَّب عليها ودوَّخها وخرَّبها » اه التعريب

وزيادةً على ما مرَّ نقول: ومن الأهوار المشهورة: « قاع بَهلولي » وهو بازاء الحُصَيّ

١) راجع معنى الزقُّورة وصورتها في المشرق (٣: ١٠٥٢)

٢) قلتُ: ولا أرى كيف انتقل هذه الكلمة الافرنجيَّة بهذه الصورة Akakuba فقد بحثت بحثاً طويلاً عن هذه الكلمة وممكنات كتابتها بالعربيَّة فرجعت عنها أخيب من القابض على الماء ولهذا أرى السير هلبرخت مع علمهِ الواسع في التاريخ واللغات الشرقية قد وهم وهماً بيِّناً لانك اذا رجعت القهقرى الى صدر الاسلام ترى ان هذا التلّ كان معروفاً باسم عقرقوف (كتاب فتوح البلدان للبلاذري. طبعة دي گُوِي De Goeje ص ٣٠٥) وفي يومنا هذا معروف ايضاً بهذا الاسم عينهِ. فكيف يمكن إذن ان يكون قد صُحّف في عهد العبَّاسيين فقط ثمَّ رجعوا بهِ الى أصلهِ بعد ذلك. فهذا كلُّهُ من البعيد. وعلى كلٍّ فاننا نلتمس من حضرة العلامة هلبرخت او من غيرهِ ان يفيدونا في أيِّ مؤلَّف عربيٍّ يرى ان عقرقوف كان معروفاً باسم Akakuba. وقلنا « في مؤلَّف عربيّ » لاننا نرتأي بان الاثري الشهير عثر على هذا الاسم في كتاب افرنجي العبارة. وكثيراً ما نرى الافرنج يصحّفون ويمسخون الالفاظ العربيَّة لجلّ امتهم من حروفنا ولضعف جهاز صوتهم وخلقهم عن مجاراتنا في اللفظ »

ثمّ العناية ثمّ الدادة (وقد ذُكر) ثمّ ابو شجر وهو هور عقرقوف الحقيقي الخاصّ به. اما مياه هذه الانهار فتأتي من الوشاش (١ ومن قرمة الدوانية التي هي من فروع الفرات (٢

اما ارض عقرقوف فتُزرع حنطةً وشعيرًا وماشًا وسمسمًا ولوبياء وشلجمًا (شامغمًا. ولا تزد على ذلك). والعرب الذين يتولون زراعة تلك الاراضي يُعرَفون باسم عرب (اي أعراب) سُهيل من بني تميم او عرب بني صالح. واسم شيخهم اليوم «الشيخ سُهَيْل». واما النبات الذي ينبت من ذاته في تلك الاراضي فهو السَجِل وهو كثير غزير فيها ويُشبه القصب الدقيق ومنهُ أُخذ ما وُضع في تلّ عقرقوف ضمائمَ مستطيلة منضّدة تنضيدًا. والقصب والشوَيل والقُرقر والعشرق والعاقول والبَرْبِنت والثيل

واما طيرُها فهو نُغَيْج الماء (البجع pélican) والشُهَيْبي وغاق الماء والكرسوع والعويدي واللقلق والقطا والغُرْغر والشِورّ والعنّاز والطُليل والقنبر والدحروج والسُوّاد وطير الليل والخفّاش (مقلوب الخفّاش)

هذا ونقف عند هذا الحدّ من هذا الموضوع قائلين: في يوم ذهابنا الى عقرقوف وُجدت قِطَع من الآجرّ مكتوبة بالحرف المسماري وقد قدّر العارفون بهذا الفن انها من عهد عَمُورابي فيكون البناء قديمًا أقدم ممّا تصوّرهُ العلامة هلبرخت

الصداع او وجع الراس

للدكتور فيلب بركات طبيب المستشفى الافرنسي في بيت لحم

كثيرًا ما يُدعى الطبيب لمداواة الصُداع والصداع كما لا يخفى ليس بداء مستقلّ قائم بذاته فلذلك احببتُ قبل ذكر علاجهِ ان ابحث في اسبابهِ

اسباب الصداع

للصداع اسباب عديدة لا بُدَّ للطبيب ان يتحرّى في السؤال عنها ليداويها كما تقتضي الحال. فمن ذلك معرفة الصنعة او الحرفة التي يتعاطاها العليل فان كان دهّانًا او

١) ترعة من ترع دجلة

٢) المراد بالقرمة عندنا الترعة. وهي وان عظمت يمكن سدُّها بطين النهر ومنهُ اشتقاق اللفظة